الهوية، تنامي الولاءات التقليدية وانقسام الدول: السودان أنموذجا

أ. فيروز مزياني، أستاذة مساعدة (أ)، جامعة عنابة، باحثة بجامعة باتنة 1
mezfeyrouz@outlook.fr
أ. سمية حذفاني، باحثة بجامعة الجزائر 3
Soumia.hedfani@Yahoo.com

ملخص:

انتشرت النزاعات الداخلية بعد نهاية الحرب الباردة في إطار تنامي مطالب الإنفصال من قبل الأقليات الإثنية والعرقية، كما برزت الهوية كمصدر أساسي في التحليل البنائي للعلاقات الدولية، حيث أن الهوية أصبحت مصدر أساسي للنزاعات مما أدى إلى تشكل دول جديدة نتيجة لتنامي الولاءات التقليدية كما حدث في السودان، ويهدف المقال إلى التعريف بدور الهوية في الصراع في السودان من خلال استكشاف القضايا الرئيسية المتعلقة بالهوية.

كلمات مفتاحية: النزاعات الإثنية، الهوية، النزاع في السودان.

Abstract:

The Spread of internal conflicts after the end of the Cold War was in the context of the growing demands for secession by ethnic minorities. Identity emerged as a key source in the structural analysis of international relations; it becomes a major source of disputes resulting to new countries as a result of the growth of traditional loyalties. This was the case in Sudan. The article aims to define the role of identity in the conflict in Sudan through the exploration of key issues related to identity.

Keywords: Ethnic conflicts, identity, Sudan conflict.

مقدمة:

بعد نهاية الحرب الباردة وزوال الإستعمار، أصبح تشتت الدول واقعا لا جدال فيه، إذ إزداد عدد الدول، ولم يقف عند هذا الحد فتأسست عدة تجمعات وطنية، في إطار تنامي ظواهر الإنشقاق والإنفصال من ناحية، وهذا مرده إلى نهاية المد الشيوعي إذ حررت التطلعات الوطنية التي كان محكوما عليها بالصمت طيلة خمسين عاما على الأقل، وعودة الوطنية الإثنية من ناحية أخرى.

فضلا إلى سياق العولمة تطلعت بعض الدول العربية بما فيها السودان، التي إبتكرت لنفسها هويات جديدة إلى الإستقلال بهدف تحسين حالتها الإقتصادية، نظرا لفشل الدولة في تحقيق العدالة التوزيعية،أفضى ذلك إلى إنبثاق النزعة الوطنية وتنامي الولاءات التقليدية على حساب الولاءات الوطنية، في الأماكن التي غمط فيها حق الشعوب في تقرير مصيرها والسعي إلى الدفاع عن هويتها، إنطلاقا من ذلك نطرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى ساهمت المحددات التاريخية والمعاصرة في تشكيل صعود الهويات في السودان كمصدر بنيوي مفسرلتشتت الدولة والوطنية وتنامي الولاءات التقليدية على حساب الولاءات الوطنية؟

أولا: الهوية، الوطنية: مقاربة نظرية

1/تعريف الهوية:

أ/ الهوية لغة:

تعرف الهويّة في اللّغة بأنّها مُصطلحٌ مُشتقٌّ من الضّمير هو: ومعناها صفات الإنسان وحقيقته، وأيضاً تُستخدمُ للإشارةِ إلى المَعالم والخصائص التي تتميّزُ بها الشخصيّة الفرديّة.

ب/ إصطلاحا:

أمّا اصطلاحاً فتُعرفُ الهويّةُ بأنّها مجموعةٌ من المُميّزات التي يمتلّكها الأفراد، وتُساهمُ في جعلهم يُحقّقون صفة التفرّد عن غيرهم، وقد تكون هذه المُميّزات مُشتركة بين جماعةٍ من النّاس سواءً ضمن المجتمع، أو الدّولة. ومن التّعريفات الأُخرى لمصطلحِ الهويّة أنّها كلُ شيءٍ مُشترك بين أفراد مَجموعةٍ مُحدّدة، أو شريحة اجتماعيّة تُساهمُ في بناءِ مُحيطٍ عامٍ لدولةٍ ما، ويتمُّ التّعاملُ مع أولئك الأفراد وفقاً للهويّة الخاصّة بهم(محمد 2016).

يعتبر المفكر الفرنسي " أليكس ميكشيللي " أن الهوية: منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية، التي تتمثل في وحدة العناصر المادية، والتمايز، والديمومة، والجهد المركزي .وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة، التي تجعل الشخص يتمايز عمن سواه، ويشعر بوحدته الذاتية(الزبير 2016).

2/ تعريف الوطنية: تعني ولاء السكان للدولة الوطنية، وينظر إلى الوطنية كعامل للتنظيم السياسي المثالي الواقع، والإطار الطبيعي للأنشطة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية(Hans1975,p.p.149-160). وتتشكل الوطنية من

النظام الإجتماعي والتقاليد والمورثات الثقافية والفكرية لكل بلد،، وكان ظهورها مربوطا بالسيادة الشعبية والحكم برضا المحكومين، كما تعبر الوطنية عن التضامن والولاء للوطن في مقابل إنحسار الولاءات الإقطاعية القديمة.

3/ الهوية مركب أساسي للتصور الحدائي للأمن:

شكلت الهوية مركب أساسي للتصور بعد الحدائي للأمن، كما أنها مرتبطة بالسيادة والعنف، فبعض الهويات أكثر ميلا للعدوان والحرب، كما أن البعض منها أقل قابلية للعيش مع الهويات التي تمثل الآخر(سيد احمد 2011/2010، ص. 116).

يجمع بعض الحداثيين الدوليين على أن فكرة الهويات السياسية لا يمكن أن توجد قبل تمايز الذات والآخر، القضية الأساسية تكمن في كيفية تصور هذا المختلف كتهديد، أو الخطر الذي سيتم إحتوائه، معاقبته، نفيه أو استثنائه(سيد أحمد 2011/2010، ص. 117).

4/أهمية الهوية والأفكار في النظرية البنائية

يقوم التصور البنائي على تشريح علاقة التأثير المتبادل بين البنية structure، والعضوagent، بحيث يمكن إسقاط هذا التصور على الدولة كبنية، والمجموعة الإثنية السودانية كأعضاء أو وحدات. (محمد علي 2004، ص. 16) وإذا حاولنا إسقاط هاته المعطيات على السودان، نجد أنها تعاني من الفوضى وذلك لغياب سلطة مركزية بسبب عدم إدراكها لهويتها، ومصالحها، وإخفاقها في أن تكون بمثابة إطار لهوية مشتركة تؤطر شخصية لجميع مواطنيها، فضلا عن الإختلافات الفيزيقية بين المجموعات الإثنية،نجم عنها وضع قبلي وإجتماعي تراتبي لذلك لجأوا إلى القرابة والإنتماء الإثني لأنه أقل تكلفة، ونشوء المأزق الأمن المجتمعي ،وخلق مشكلات سياسية من أبرزها الصراع على الثروة والسلطة.

إذ بدلا من أن تشكل الهوية في السودان بناءا إجتماعيا عبر الخطابات الإجتماعية النافذة، وتحقيق المصلحة المشتركة للدول، وتصبح المتغير الحاسم في إستقطاب المجموعة الإثنية، نجد أنها أصبحت الفاعل الرئيسي في تغذية النزاعات وتعميق الإختلافات الإثنية وذلك راجع إلى نزاعات الهوية والتي تعود إلى: الأزمة الإجتماعية والإقتصادية، إرتفاع الفقر الجفاف وانحباس المطر الأمر الذي أدى إلى المجاعات وانتشار الأمراض وقد وصل عدد ضحايا هذه النكبات البيئية إلى ما يزيد عن 100 ألف.(Gerard 2005,p.p.47-525)

وإزدياد مشكلات التعليم والتي ترجع جذورها إلى العهد الإستعماري(ادريس 2001، ص. 221). ومختلف المشاكل الإقتصادية في الجنوب وإقليم دارفور مما زاد من حدة التوتر داخل المجتمع وعدم الإستقرار وعجز دولة السودان عن تلبية مطالب الشعب جنوبا السودان وإقليم دارفور(François 1995,p.4)مما أدى إلى للتدخل الأجنبي في حلقة النزاع.

الذاكرة التاريخية والضغائن القديمة: نظرا لإنعدام الثقة بين المجموعات الإثنية، والصراع على الموارد والأرض أدى ذلك إلى تصعيد النزاع وصل إلى إنفصال السودان إلى دولتين، نظرا لهيمنة المجموعة الإثنية العربية على السلطة التي تتميز كما ذهب فرنسيس دينق بالتجانس،فضلا عن قيام المجتمع على نظام طبقي عرقي مما دعم تماسكها في وجه الطبقات الأخرى، التي جنت ثمار الإستقلال بسيطرتها على الخدمة المدنية ومشاريع التنمية والخدمات، كما أنها أبقت على العلاقة بينهاوبين الدوائر الإثنية الثلاث الغرابة –البجا- الجنوبيون كما صاغها قانون مارشال 1951(فرنسيس 2003، ص. 7)

تلعب الهوية والثقافة والقيم دورا أساسيا في النظرية البنائية وتؤكد على ان هوية ومصالح الدول تنشأ من القيم والثقافات التي تتميز بها هذه الدول، ويفترض Alexander Wendtما يلي(عبد الناصر 2007، ص. 323):

- أن الدول هي الوحدات الأساسية للتحليل
- تذاتانية البنى الأساسية للنظام القائم على الدول
- تتشكل هويات ومصالح الدول في إطار نسق مترابط بفعل البنى الإجتماعية ضمن النظام

تركز البنائية على عنصر الهوية Identity كمسألة جوهرية في عالم ما بعد الحرب الباردة من خلال إبراز كيفية تعامل الهويات مع الطريقة التي تستوعبها الوحدات السياسية وتستجيب لمطالبها ومؤسساتها، وتجلى ذلك بوضوح مع بروز قضايا الأقليات، قضايا الإرهاب، والنعرات الذاتية والإنتماءات العرقية والثقافية للأفراد(عبد الناصر 2007،ص. 324).

اهتم البنائيون عموما بدراسة وتحليل الظواهر الدولية، خصوصا منها القضايا الأمنية، والنزاعات الداخلية وخصوصا النزاعات الإثنية المتعلقة بالهوية، إذ يرون أن أزمة الهوية هي ديناميكية سيكولوجية،وأن النزاعات الداخلية إنما هي نتاج لهشاشة الهوية الإثنية، ولكي تحدث أزمة الهوية يجب توفر مجموعة من الظروف المساعدة على انفجار النزاع، ويلخصها "hualT François " في ثلاثة أزمات هي: (الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية 2016):

أ/الأزمة الاجتماعية – الاقتصادية: إن انعدام الرفاهية،وتجني مستوى معيشة السكان، وارتفاع نسبة الفقر، يزيد من درجة التوتر داخل المجتمع وعدم الاستقرار ويعزز اللامساواة والتهميش، مما يمهد لظهور النزاع وتصعيده سعيا لتحقيق الذات والبقاء للجماعات الإثنية.

ب/أزمة الدولة: إن أزمة الهوية لن تحدث إذا لم يكن هناك أزمة دولة، فالدولة في هذه الحالة لم تستطع تقلد وظائفها الدولاتية، وهذا العجز ناتج عن شخصنة الدولة، أي أنها أصبحت تخدم أقليات أو جماعات معينة تحتكر السلطة والثروة وتمثل الدولة في شخص هؤلاء، وبما أن دولة ما بعد الاستقلال ضعيفة وهشة ويسيطر عليها العامل الإثني، فغالبا ما يخلق التمييز بين الجماعات الإثنية، كما أن الحياة السياسية في هذه الدول لا يمكنها أن تقوم إلا على أساس نزاع الهوية الإثنية، وقد توصلت الدراسات في هذه المجال إلى أن المطالبة بالحقوق السياسية ينبثق في الأساس من سياسات التهميش والتمييز والإقصاء التي يمارسها النظام السياسي أو الطبقة الحاكمة.

ج/ أزمة التجانس الداخلي الإثنو– ثقافي: ترتبط الظروف الهوياتية إلى حد بعيد بعامل التجانس الداخلي والذي يفرض وجود أقليات أو إثنيات وطنية أو دينية من جهة، ووجود جار يعتقد أنه عدواني، خاصة إذا كان هذا الجار يدعم أحد مكونات المجتمع في دولة معينة، فعدم التجانس الداخلي هذا يجعل الإثنيات تعيش منغلقة في نفس المجال السياسي ونفس الحدود، ويخلق فجوة تقسم الجماعات المختلفة الهوية إلى" نحن" و"هم"، كما تنقسم إلى " أهل البلد " و" الغرباء "، ومن هم " داخل الجماعة" ومن هم "خارج الجماعة، وكلما زادت الفوارق بين الجماعات الإثنية.

5/ مقاربة الحرمان النسبي Relative Deprivation Theory

إستعمل لأول مرة من طرف تيد روبرت غير"Ted Robert Gurr"،وعرف الحرمان النسبي بأنه إدراك الأطراف الفاعلين للتناقض بين توقعاتهم وقدراتهم المختلفة بالقيم.

وسبب الحرمان حسب تيد راجع إلى الظلم والقهر الذي تستخدمه الدولة،إضافة إلى الإحتقانات الوجدانية المتراكمة، والتفاوت المطبق في التجمعات الإثنية بين مما أدى إلى تشكيل الميول العدائية لتحقيق المساواة الإقتصادية والسياسية والبحث عن العدالة،والتحرر من الإضطهاد التاريخي، وكانت إستجابة الدولة لهذه الميول بالقهر والقمع،هذا ماولد التمردات كحالة إنفصالية نظرا لحرمان المجموعات الإثنية "الجنوبية، الغرابة،البجا" على من حقوقها الإقتصادية والسياسية إضافة إلى التراجع الحاد في مستويات الإشباع مما كان الدافع وراء الحرب الأهلية، والعنف الداخلي المتصاعد(محمد 2012، ص. ص. 230-231).

وبالرجوع إلى محطات أزمة الهوية والمطالبة بالإنفصال أي منذ الإستقلال نجد أن المجموعات الإثنية الأخرى من أزمتين بنيويتين أساستين مما دفعهم إلى سلوك نزعة عدائية ومثلت شرطا ضروريا لتحريض التمرد وتكثيفه وهما:

أ-القهر: من خلال تقييد المشاركة السياسية بإستعمال العنف من طرف النظام السياسي السوداني، ويتجلى ذلك عبر غياب أي تمثيل للمجموعات الإثنية في تلك الأنظمة وسيطرة المجموعة الإثنية العربية على السلطة،وكذا عدم تمتعهم بالحريات والإستبعاد الإجتماعي وماترتب عليه من ظلم وحرمان وإستغلال وقد مثلت شرطا ضروريا لتحريض التمرد وتكثيفه(Pierre,2009,p.p.114-115).

ب/ الفقر: تعاني السودان ككثير من دول العالم الثالث من مشاكل إقتصادية كأزمة توزيع إنعكست على شعب وزادت من حدتها تفاعلها مع المنطقة من خلال تحول النزاع العرقي- الديني الى نزاع يتمحور بصورة رئيسية حول الموارد الطبيعية.صاحب ذلك بروز الازمات الاقتصادية والسعى لكل اطراف النزاع للسيطرة على الموارد الطبيعية بوصفها فى نهاية المطاف عناصر مؤثرة في حسم نتائج الحرب الاهلية في السودان(ادريس 2001، ص. 221.)

6/الهوية كعامل للنزاع:

يبدو أن هناك صعودا قويا للعوامل الهوياتية في تشكيل التفاعلات الإجتماعية والسياسية واتخاذها أبعادا حادة داخل المجتمعات، فتلاشي الصراع الايديولوجي أحيا الهويات القومية والإثنية وأعطى نفسا قويا لصعود النزاعات ذات الطابع الهوياتي، في العديد من مناطق العالم، حيث ان بعض الجماعات داخل بعض الدول بدأت تبحث عن هويتها القومية وخصوصيتها الذاتية الثقافية مما أدى إلى تفكك عدة دول كما أن كيانات وطنية عدة ربما هي في طريقها إلى التفكك(محمد 2010، ص. 81).

7/ الهوية كاستراتيجية:

الهوية هي تفاعل مستمر بين كل مكونات البيئتين الوطنية والدولة وتموقع في الحقول الجيوسياسية للعالم عبر تضامن الفاعلين السوسيو –سياسيين وصراعاتهم المستمرة، فهي صيرورة من التفاعلات التي تتشكل عبر أزمات وتوترات اجتماعية وسياسية الأمر الذي يفرض غلبة مكون معين من مكونات الهوية على حساب باقي المكونات وكأن الهوية عبارة عن نسيج من الطبقات تتداخل وتتفاعل فيها مكونات (الإنتماء إلى القبيلة، العشيرة، الإثنية)، هذا ما يجسد الطابع الديناميكي للهوية، تتشكل وتتفكك ويعاد بناؤها وتوظيفها وانتاجها وفقا لحاجات

الفاعلين، وتتجسد ديناميات الهوية من خلال مجموعة من المتغيرات، ذات أبعاد وطنية ومحلية ودولية(الباقر، ص. 1):

- تزايد قوة التيارات التفكيكية (البعد الإثني، القومي، الثقافي، الديني) في تحريك التوترات الإجتماعية والسياسية في العالم.
- الفاعل الهوياتي والتعددية الثقافية أحد العناصر الأساسية المتحكمة في الديناميات الدولية الجديدة.
- التصاعد المتزايد للنزاعات الإنفصالية داخل مناطق عدة تفتقد للإنسجام الثقافي والإثني.
- تصدر الهويات الدينية والطائفية والإثنية جدول التوترات داخل الدول
- تدفقات الهجرة العالمية سيكون لها أثر كبير في تحديد التفاعلات الإجتماعية والثقافية على المستويين الوطني والعالمي وسيحدث مجموعة من التحديات الإجتماعية والثقافية والأمنية للمجتمعات المستقبلة للمهاجرين.

ثانيا/جيوسياسية النزاع في السودان:

يتمتع إقليم جنوب السودان بأهمية استراتيجية واقتصادية وقد كان هناك مطالب بانفصال الجنوب قبل الإستقلال وذلك بإيعاز من الإستعمار البريطاني بوصفه مطلباً سياسياً شعبياً من الجنوبيين منذ استقلال السودان عام 1953 ما حدا بهم للتمرد عام 1955 وبدأت قضية الصراع بين الشمال والجنوب وتصاعدت المواجهة عام 1962 بعد تشكيل حركة أنيانيا وبعد اتخاذ الشمال مجموعة من القرارات والإجراءات عام 1964 للحد من النشاط التبشيري المسيحي في الجنوب وفشلت الحكومات المتعاقبة في الوصول إلى اتفاق يقبل به الطرفان.

ظهرت دولة جنوب السودان في عام 2011 كأحدث دولة في العالم، بعدما يقرب من 40 عاما من الحرب بين الحكومة السودانية والمتمردين الجنوبيين، بعد استفتاء جانفي 2011 على الانفصال عن السودان(Lauren).

1. االموقع الجغرافي:

تبلغ مساحة جنوب السودان حوالي 700 ألف كم2 ما يعادل 28% من المساحة الكلية للسودان البالغة 2.5 مليون كم2 وللجنوب حدود تمتد إلى 2000كم تقريباً مع خمس دول هي أثيوبيا وكينيا وأوغندا والكونغو وأفريقيا الوسطى وهو بلد غير ساحلي. وتشكل المراعي 40% من الجنوب السوداني والأراضي الزراعية 30% بينما تشغل الغابات الطبيعية 23% والسطوح المائية 7% من جملة المساحة(محمد 2010). توجد في جنوب السودان 572 قبيلة وأكثر من مائة لغة متداولة ويضم جنوب السودان ثلاث مجموعات سلالية رئيسية هي:

أ. **النيليون**: وهم من قبائل الدينكا والشلك والنوير والأنواك في أعلى النيل.

ب. **النيليون الحاميون**: وهم من قبائل الباريا والديونقا والبويا والتبوسا واللاتوكا والمورلي ويسكن معظم هؤلاء في الضفة الشرقية من الاستوائية.

ج. **المجموعة السودانية**: ويتمثل هؤلاء في مجموعات قبلية صغيرة متفرقة أهمها: قبيلة الزاندي ويعيشون في الجزء الغربي من الجنوب الغربي للاستوائية. وهناك قبائل كثيرة تعتبر خليطاً من الأنواع الثلاثة النيليون والنيليون الحاميون والمجموعة السودانية مثل قبائل المورو والفوجلو واللالوبا ومن أهم القبائل الجنوبية (محمد 2010):

1/قبيلة الدينكا: تعتبر قبيلة الدينكا أكبر قبائل الجنوب عدداً حيث يقدر عددها بنحو 3 مليون نسمة وهم موزعون بين مديريتي بحر الغزال وأعالي النيل.

2/قبيلة النوير: يقارب عددها النصف مليون نسمة معظمهم في أعالي النيل ويحتلون إقليم المستنقعات والسدود على جانبي بحر الجبل الأدنى .

3/ قبيلة الشلك: يبلغ تعداد الشلك حوالي 200 ألف نسمة يعيش جزء منهم في شريط على الضفة الغربية للنيل الأبيض من كاكا في الشمال إلى بحيرة نو في الجنوب ويحتلون كذلك الضفة الشرقية منكدوك إلى التوفيقية كما تمتد قراهم لمسافة 40 كم على الضفة الشمالية.

2.اللغة

يصل عدد اللهجات في الجنوب إلى حوالي 12 لغة وأكثر من 250 لهجة محلية ثانوية إلا أن واحدة منها لم تفرض نفسها كلغة إلا أن العربية أكثر اللغات انتشاراً (محمد 2010).

ثالثا/محدادت صعود الهويات وتشتت الدولة الوطنية

1/أزمة الهوية في السودان:

من الواضح أن النزاع في السودان سببه أزمة الهوية على أساس التراث الثقافي والمعتقدات الدينية،النفوذ، القومية،الإقليمية، العرقية، وإدراج أيديولوجية الإقصاء والانقسام بين الشمال المسلم والجنوب، مما شكل صعوبة كل من شمال السودان وجنوب السودان في التوصل إلى توافق في الآراء داخل البلاد بشأن الهوية العرقية مما خلق فجوة واسعة لهوية وطنية تشمل: اللغة، العرق، والدين، والتي أصبحت أساسا لعلاقات القوة مما أدى إلى تفضيل بعض القبائل داخل البلاد وتكثيف تهميش الجماعات العرقية في الجنوب، من خلال تركيز القوة الثقافية السياسية الاقتصادية في أيدي المسلمين في الشمال الذين سيطرو على الحكومة المركزية، وأدى ذلك إلى الاستياء واعتراضات من قبل الجنوبيين الأفارقة. (Abraham 2015, pp.5-6)

الأزمة لم تبدأ في صيف 2003، بل هي مستمرة منذ أكثر من ثلاثة عقود، المسئول الحقيقي عن تأزيم النزاع وخلق المشكلة العرقية فيه هي الحكومات السودانية المتعاقبة منذ انقلاب ماي 1969، ويلخص الخبراء ثلاثة مظاهر للنزاع: أولاها، غياب الحقوق السياسية والاجتماعية لبعض الفئات الاجتماعية على أساس ديني أو عرقي إلى الدرجة التي يمكن اعتبار هذه الفئات معزولة تماماً عن البلد الذي تعيش فيه، ثم يتم استغلالها من قبل حركات تمرد تبني خطابها الأيدلوجي والحركي على استعادة الهوية الدينية أو العرقية أو القومية لتلك الفئات المهمشة وأخيراً يتم تحريك هذه الفئات الاجتماعية وأغلبها فئات اجتماعية بسيطة (حمدي 2016).

يتميز السودان بتعدد أعراقه وأديانه ولغاته الى درجة اصبح يعرف بانه افريقيا المصغرة لما فيه من التعدد العرقي والديني واللغوي، والمشاكل السياسية الناجمة عن التعدد العرقي تعتبر الاوضح في السودان،حيث يصنف الانسان فى السودان أولا على الاساس العرقي ثم تأتى بقية التصنيفات،كما يلعب الدين أيضا دورا رئيسيا في التصنيف، نتج عن ذلك أزمة هوية وطنية سيما مع هيمنة السودانيين الشماليين العرب سياسيا وإقتصاديا، بالرغم من كونهم يشكلون الاقلية بالنسبة لمجموع سكان البلاد، والسعي الى فرض هويتهم على كل أرجاء البلاد، ليشمل المجموعات غير العربية المحلية في الشمال مما أدى إلى تصعيد حدة التوتر نتيجة خليط من العوامل ومن أبرزها:

أ/أزمة الفشل الإقتصادي: وتعتبر أحد المداخل المسببة في صعود الهويات وتفكك الدولة الوطنية السودانية إلى سودان شمالي وسودان جنوبي، إضافة إلى أزمة التنمية واللاعدالة الإجتماعية التي أدت في مجملها إلى:

تقسيم الخريطة الإقتصادية الإجتماعية للسودان على مر عقود الإستقلال لرسم خط إفتراضي بين **المركز والهامش**، والذي يعبر عن حالة عدم التكافؤ والإختلاف من حيث السلطة والثروة والذي يعكس تصورا إقصائيا من جانب المركز الذي لديه صلاحيات على الهامش إذ نجد شمال تتمركز فيه كل الأنشطة الإقتصادية،وجنوب يعاني غياب التنمية والفقر،ولا تساهم الحكومة السودانية إحتياجات سكان الجنوب،مما خلق في كثير من الأحيان مشاعر الظلم والإحتقان وصعدت بالطرق العنيفة نظرا لغياب الحوار السلمي وحرية التعبير. (Anna,2005,p.39) أفضى ذلك إلى إنتفاضة الهامش والقيام بالتمردات لإنتزاع تلك الشرعية.

- سيطرة الدائرة الإثنية العربية على الإقتصاد والسلطة وعدم إستفادة بقية المجموعات الإثنية الأخرى من الطاقات الحديثة مما أدى إلى تعاظم المطالب الإنفصالية ومطالب الحكم الذاتي.
- غياب الولاء للسودان الوطن،الأمة إذ إتخذ الولاء أشكالا قبلية جهوية،كما أن الحركات السياسية والعسكرية التي خرجت إلى الوجود في تلك الفترة كحركة الأنانيا في الجنوب،وسوني في الغرب ومؤتمر البجا في الشرق وإتحاد جبال النوبة، كانت بسبب التفاوت الإقتصادي والفوارق المتزايدة بين الشمال والجنوب أفضى ذلك إلى صراع سياسيطبقي إجتماعي في إطار الدائرة الإثنية العربية المسيطرة، وفي خارج الدائرة العربية نجد الأبنية السياسية التي تنظم الصراع حول السلطة السياسية أبنية تقليدية تتحكم فيها مؤسسات القبيلة وروابط الدم وعلاقات القربي ولتوضيح ديناميكية النزاع في السودانمن خلال المخطط التالي:

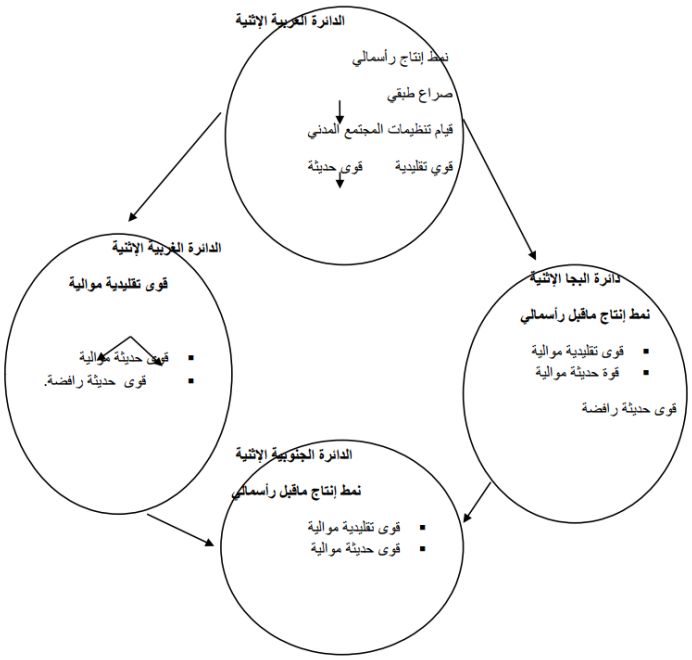

المصدر: عوض،أ.س.(2010). احمد سليمان،دور النخب السياسية الانية في ظل منطق السلطة السياسية السائد، مركز التنوير المعرفي، (9)، ص 108.

ب/ الأزمة التوزيعية وتغذية الإقصاء

نظرا للغياب الفعلي للتنمية البشرية وما انجر عنها من أزمة توزيعية وتغذية للإقصاء وافتقاد مبدأ الأمن الإنساني المحقق للإستقرار المحلي والبنية الوطنية للدولة في السودان وذلك راجع إلى:

توزيع موارد البلاد بصورة غير عادلة بين مختلف فئات المجتمع، أين يتم تفضيل سكان المنطقة الشمالية على حساب المنطقة الجنوبية، حيث لا يزال هناك فجوة عميقة وخط فاصلا بين المنطقتين فالشمال يعرف نشاطا اقتصاديا كبيرا ومستويات عالية من التنمية مقارنة بالجنوب. وماتبع ذلك من أزمة توزيعية وعزلة بقية المجموعات الإثنية على خلاف المجموعة الإثنية العربية على الصعيد السياسي نظرا لتمرير الثرورة والحكم من طرف الدوائر الكوربوراتية والشبكات الزابونية عوضا على التوزيع العقلاني للخدمات والخيرات الموجهة للأفراد والجماعات الإثنية،بما يخدم الديمقراطية وتنمية مؤسسات الدولة تبعا لمعيارية الحق وهيمنة القانون العمومي الذي يسهر على مراقبة حسن التنمية البشرية.

3/ أزمة بناء الدولة الوطنية:

تعني بناء الدولة الأمة nation- state أن يكون ولاء الأفراد والجماعات كافة في المجتمعات للدولة القومية، بحيث تنصهر في بوتقتها جميع الولاءات الأولية الأخرى وتتفاعل مختلف الجماعات في الدولة على قدم المساواة بغض النظر عن أصولها الإثنية،أو العرقية بهدف المشاركة في صياغة وتنفيذ برامج التنمية الشاملة،وقد مثلت هذه القضية إشكالية كبرى للدولة السودانية في مرحلة مابعدالإستقلال نظرا لخصوصيتها التاريخية ومواريثها الإستعمارية، إذ فشلت النخبة السياسية الحاكمة في السودان في مواجهة هذه المشكلة بخلق سودان موحد ومتنوع وتحقيق الاندماج الوطني في إطار التعددية.(Arend,1977.p.25)

كل هذه العوامل أدت مع رحيل الإستعمار إلى تشتت الإنقسامات والصراعات على كافة المستويات وإتسعت الهوة بين النخبة والجماهير،وتصاعد التوتر بين الجماعات المتمايزة إثنيا وعرقيا وصل الأمر أن تطالب بالإنفصال،(حمدي، ص. 84)فمنذ فترة الإستعمار البريطاني للسودان، إتبع سياسة فصل الجنوب عن الشمال ثقافيا وسياسي اواقتصاديا(Ann 1998,p.46) من خلال الإهتمام بالشمال أو المركز في منطقة الخرطوم أو محافظة النيل الأزرق على حساب المحيط أو الأطراف أو باقي أنحاء السودان سواء في الشرق أو في الجنوب أو في الغرب،إذ تم توجيه كافة موارد البلاد لخدمة منطقة النيل الأزرق فضلا عن تركز السلطة السياسية بيد أبناء الإقليم فيما عانت بقية أجزاء البلاد من التهميش السياسي أو عدم التمثيل وكذلك التخلف الاقتصادي والحرمان الاجتماعي، أفضت السياسات التي انتهجتها النخبة الحاكمة في السودان والتي تمثلت في إهمال وحرمان بقية أجزاء البلاد من نصيبها في السلطة والموارد إلى حروب الأهلية وعدم الاستقرار الذي عانى منه السودان سواء في الجنوب أو في دار فور في الغرب

سيطرة نظم الحكم الديكتاتورية والاستبدادية على طبيعة الحياة السياسية بشكل أوجد الصراع على السلطة وذلك بممارسة أشكال العنف عبر حالات الانقلابات العسكرية والاغتيالات السياسية (حمدي 1997، ص.

9). مما شجع على القيام بالتمرد واللإستقرار والعجز الوظيفي في تغطية وتأمين الحاجيات التي من المفروض لدولة أن تضطلع بها(كاظم 2004، ص. 34) هذا أدى تفكك الدولة السودانية(Stewart 2006, p.27).

نتيجة للأسباب السابقة وغيرها من التراكمات التاريخية،الثقافية الإقتصادية،السياسية، ظهر العجز الأمني من جراء الخلاف على السلطة، الصراع من أجل القوة، فقدان الثقة بالقيادة السياسية، وغياب عمليات التنشئة السياسية وبروز ما يعرف: بأزمة الشرعية الدولية كنتيجة لإفرازات الحرب الباردة، إذ بدأت الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل في شؤون السياسة الداخلية للدولة السوداني(محمد 1986،ص. ص. 36-46).

أفضت الأسباب السابقة الذكر إلى نزاع الهويات في إطار الدولة الواحدة وتمرد المجموعات الإثنية الموجودة في الجنوب السوداني وإقليم دارفور نظرا للاضطهاد الممارس عليها من قبل المجموعة العربية والعلاقة الغير المتكافئة ونتيجة التدخلات الأجنبية،الأمر الذي إلى حروب أهلية ونزاعات إجتماعية معقدة بين الأطراف والشمال والمطالبة بالإنفصال عن الدولة

4/أزمة الدولة والمجتمع في السودان:

إذا كان الجدل الذي ساد المشهد السوداني حتى قبل الاستقلال وإلى اليوم يتركز حول خطاب الهوية العربية والإسلامية؛ فإن إشكالية السلطة وتوزيع الثروة مثَّلت محور الصراعات، والحروب الأهلية التي شهده االسودان في الجنوب والغرب والشرق .فقد رفعت جماعات التمرد مطالب ملحة ضد سياسات التهميش والإقصاء التي تعرضت له امجتمعاته طيلة سنوات مابعد الاستقلال غير أن هذا الصراع اكتسب منذ بدايته أبعادا إقليمية وقارية ودولية أضفت عليه مزيدا من التعقيد والتشابك.

ومن الواضح أن الهوية العرقية والدينية أمر مهم للشعور بالتفرد والانتماء إلى المجتمع وهذا ما يساعدنا في فهم وتفسير كيف كانت هذه المجموعات والهويات المختلفة سببا في النزاع بين الشمال والجنوب، حيث اعتبر الشمال السوداني تهديدا للهوية الجنوبية، ولكن أيضا لعب التاريخ دورا رئيسيا في اتساع هذه الفجوة بين الشمال والجنوب الذي يخشى شكلا جديدا من أشكال الاستعمار، وهذه المخاوف أدت في نهاية المطاف إلى حرب أهلية(Monica,2016.)

خاتمة:

أزمة الهوية في السودان ظهرت نتيجة تهميش الجنوبيين الذين يعانون من التخلف والحرمان، سياسة التعليم الفقيرة والتفرقة الدينية مما أدى إلى اندلاع الحرب الأهلية المطولة التي سببها تنوع الثقافات، والأصولية الدينية، الصورة النمطية العرقية والموروثات التاريخية والأيديولوجيات السياسية. هناك مجموعة من الظروف التي ساعدت على إنفجار النزاع منها الموروث التاريخي، الأزمة الإجتماعية – الإقتصادية، أزمة الدولة وأزمة التجانس الاثنو- ثقافي، إضافة إلى عامل التدخل الخارجي سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي. وقد أفضت الأسباب السابقة الذكر إلى نزاع الهويات في إطار الدولة الواحدة وتمرد المجموعات الإثنية الموجودة في الجنوب السوداني وإقليم دارفور،الأمر الذي أدى إلى حروب أهلية ونزاعات إجتماعية معقدة بين الأطراف والشمال والإنفصال عن الدولة، وظهور دولة جنوب السودان كأحدث دولة في العالم سنة 2011.

قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية:

الكتب:

1. جندلي، ع.ن.(2007) التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، ط.01، الجزائر: دار الخلدونية.
2. حسن، إ.س.(2001). *رؤى سودانية*: مقالات في المعرفة والثقافة والمجتمع، الخرطوم: مركز الدراسات الاستراتيجية.
3. حسن، ع.ر.(1997). إفريقيا والقرن21 رؤية مستقبلية،القاهرة: مركز البحوث.
4. حوات، م.ع. (2004) العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل.القاهرة: مكتبة دبولي. ط.1
5. دينق، ف.(2003) فرنسيس دينق،*صراع الرؤى،نزاع الهويات في السودان*،ترجمة عوض حسن، الخرطوم: مركز الدراسات السودانية.
6. نعمة، ك.ن.(2004). الحكم والسياسة في أفريقيا، ليبيا: أكاديمية الدراسات العليا.

الرسائل:

1. قوجيلي، س.أ.(2011/2010).الحوارات المنظورية وإشكالية البناء المعرفي في الدراسات الأمنية، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الجزائر

المجلات:

1. الحوراني، م.ع.(2012). الإستبعاد الإجتماعي والثورات الشعبية ومحاولة للفهم في ضوء نموذج معدل لنظرية الحرمان النسبي، *الأردنية للعلوم الإجتماعية*، م.5،(02).
2. حامد، م.ب. (1986). الشرعية السياسية وممارسة السلطة - دراسة في التجربة السودانية المعاصرة- المستقبل العربي(94).
3. سعدي، م.(2010). الهوية من الوحدة إلى التعدد، آفاق المستقبل.(07).

روابط الانترنت:

1. أبوخليف، م. (2016).تعريف الهوية، تم تصفح المقال في: 2016/12/27.
http: mawdoo3.com
2. بن عون، أ.(2016). الهوية؛ بين مجالات التفكير العلمي، الثقافي والحضاري - إشكالية الإجرائية والتجريد.تصفح المقال في: 2016/12/16.
http: //www.maqalaty.com/41004.html
3. الشيمي، م.ن.جنوب السودان....جذور المشكلة..وتداعيات الانفصال، الحوار المتمدن.(3209).تم تصفح المقال في 2016/12/20.
http: //www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=237557
4. /العفيف، أ. أزمةالهويةفيشمالالسودانمتاهةقومسود...ذووثقافةبيضاء. تم تصفح الموقع بتاريخ: 2016/12/24.
http: //sudaneseonline.com/board/2/msg
5. حمدي، ع. ر. التدخل الدولي في السودان وأثره عربيا وإفريقيا. تم تصفح الموقع في 2016/12/25.على الرابط التالي:
http: //www.albayan.co.uk/fileslib/articleimages/takrir/4-3-3.pdf
6. الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية،المقاربة البنائية في العلاقات الدولية، تم تصفح الموقع في: 2016/12/28. على الرابط التالي:
/http: //www.politics-dz.com/threads/almqarb-albnai-fi-alylaqat-alduli.254

ثانيا: باللغة الأجنبية:

I.Books:

1. Darfur,G.P.(2005).The Ambiguous Genocide ,Cornell university press.

2. Françoi dthual,F.(1995). les conflict Identitaires paris Elipse.

3. Gentili, A.M.(2005).ethnicity and citizenship in sub Saharan Africa.Brill Leiden Boston.

4. Hans Kohn, H.(1975).Nationalism in ideologies of politics by Anthony d.Crespingny and Jeremy Cormin,London.

5. Lijphart,A.(1977). Democracy in plural socienien: Acomparative Exploration,yale university press, new Haven.

6. moselylesch,A.(1998). sudan contested national identities, Indian univprees.

7. Stewart Patrik,S.(2006). weak states and Global threats fact or fiction,The Washington quarterly ,Spring Stewart Patrik, weak states and Global threats fact or fiction,The Washington quarterly Spring.

II. Articles:

1. Naudé,P.F.(2009) Mali Privatisation: La Grande Panne,Jeunne Afrique N°.2520-2521. paris: ed Maghreb et Moyen-Orient, 26 avril -9 Mai

III.**Websites:**

1. Blanchard,L.P. Conflict in South Sudan and the Challenges Ahead https: //www.hsdl.org/?view&did=795792

.2 Fahmi,M. Is Identity the Root Cause of Sudan's Civil Wars? http: //www.e-ir.info/2012/04/09/is-identity-the-root-cause-of-sudans-civil-wars/